

ذم فسوة القلب

صنفه

ابن رجب الحنبلي

رحمه الله

تحقيق وتعليق ودراسة

أبي مريم / طارق بن عاتق حجازي

عفا الله عنه

وَالْأَمِينُ رَبِّي

حقوق الطبع محفوظة

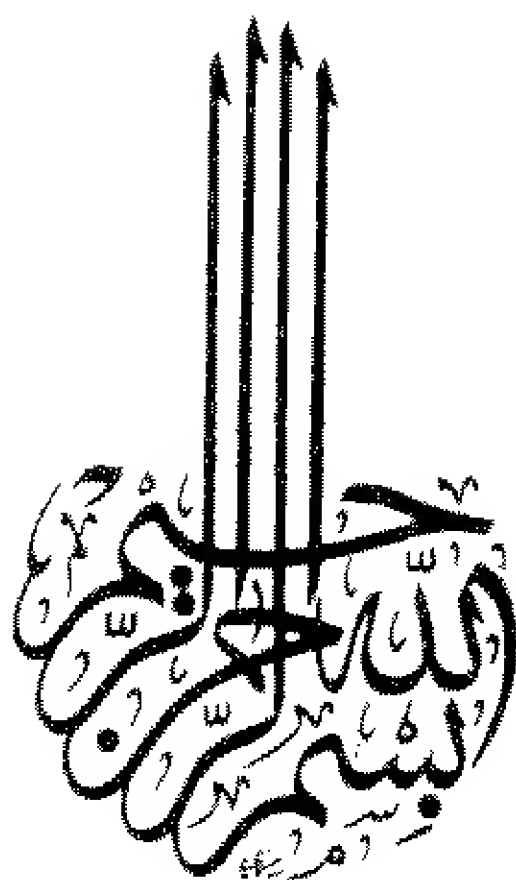
الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع : ٧٧٣٦ / ٢٠٠٧

فلازل بن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفطسي هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
﴿[آل عمران: ١٠٢].﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
﴿[النساء: ١].﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
﴿[الأحزاب: ٧٠، ٧١].﴾

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد

وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه خلقه سدًى هملاً، بل جعلهم مورداً للتكليف، ومحلاً للأمر والنهي، وألزمهم فهم ما أرشدهم إليه مجماً ومفصلاً وقسمهم إلى شقى وسعيد، وجعل لكل واحد من الفريقين منزلاً، وأعطاهم مواد العلم والعمل: من القلب، والسمع، والبصر، والجوارح، نعمة منه وتفضلاً، فمن استعمل ذلك في طاعته، وسلك به طريق معرفته على ما أرشد إليه ولم يبغي عنه عدوياً، فقد قام بشكر ما أوتي من ذلك، وسلك به إلى مرضاة الله سبيلاً، ومن استعمله في إرادته وشهواته ولم يرع حق خالقه فيه يخسر إذا سئل عن ذلك، ويحزن حزناً طويلاً، فإنه لا بد من الحساب على حق هذه الأعضاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود التي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، تكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتبته فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ» (١).

فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته.

وهو المسئول عنها كلها، ولأن «كل راع مسئول عن رعيته» كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون.

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه،

(١) صحيح: أخرجه البخاري [٥٢] ومسلم [١٥٩٩] وغيرهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وزين له من الأقوال والأعمال ما يصدّه به عن الطريق، وأمره من أسباب الغنى بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقيق بذل العبودية الذى هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول فى ضمان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فهذه الإضافة هى القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين فإذا أُشْرِبَ القلبُ العبودية والإخلاص صار عند الله سبحانه وتعالى من المقربين، وشمله استثناء: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] ولما من الله الكريم بلطفه بالاطلاع على ما اطلع عليه من أمراض القلوب وأدوائها، وما يعرض لها من وساوس

الشياطين أعدائها ، وما تثمر تلك الوسوس من الأعمال ، وما يكتسب القلب بعدها من الأحوال فإن العمل السيئ مصدره عن فساد قصد القلب ، ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة ، فيزداد مرضاً على مرضه حتى يموت ، يبقى لا حياة فيه ولا نور له ، وكل ذلك من انفعاله لوسوسة الشيطان ، وركونه إلى عدوه الذى لا يفلح ، إلا من جاهره بالعصيان^(٢) .

وهذه الرسالة التى بين أيدينا للحافظ ابن رجب : تعالج هذا الأمر ، أعنى ذم قسوة القلب وذكر أسبابها وما تتول إليه ، أما ذم القسوة فتكلم عليها ، حيث أجاد وأفاد رحمه الله تعالى حيث دلل على ذلك بمجمل أدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وآثار عن التابعين رحمهم الله تعالى .

ثم تكلم بعد ذلك حيث قال أما أسباب القسوة فكثيرة :

منها كثرة الكلام بغير ذكر الله ، ونقض العهد ، وكثرة

(٢) إغائة اللفهان [ص ٢٣ ، ٢٤] وانظر فتح البارى [١٥٦ / ١] ط . دار الريان ، وإحياء علوم الدين [٣ / ٣ ، ٤] ط . المكتبة التوفيقية ، وجامع العلوم والحكم شرح الحديث رقم [٦] .

الضحك، وكثرة الأكل، وكثرة الذنوب، ودلل على ذلك بأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وآثار.

ثم تكلم بعد ذلك حيث قال: والأصل في إزالة قسوة القلوب بالذكر، والإحسان إلى اليتامى والمساكين، وكثرة ذكر الموت، وزيارة القبور بالتفكر في حال أهلها ومصيرهم والنظر في ديار الهالكين، والاعتبار بمنازل الغابرين، وأكل الحلال ودلل على ذلك بمجمل أدلة من كتاب وسنة رسول الله ﷺ ومجمل آثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى.

(قلت طارق): وممن ألف في هذا الباب أعني القلوب وذم قسوة القلوب وأمراض القلوب... بعض أهل العلم منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الإمام الخرائطي: في كتابه «اعتلال القلوب» وهو يقع في مجلدين، وأيضاً أبو حامد الغزالي: رحمه الله تعالى وغفر الله له في كتابه «إحياء علوم الدين» على ما فيه، في فواتح المجلد الثالث والمجلد الأول، وأيضاً العلامة ابن القيم: في أكثر من كتاب له مثل «إغاثة

اللهفان» في فواتحه، حيث أطال النفس وأجاد وأفاد، فانظره فإنه نفيس وأيضًا في جل كتاب «الداء والدواء» وبعض مواطن في «مدارج السالكين»، و«الوابل الصيب» وفواتح المجلد الرابع من زاد المعاد وغيرها من كتبه فرحمه الله رحمة واسعة، وأيضًا الإمام ابن الجوزي في فواتح كتابه «ذم الهوى»، وأيضًا ابن قدامة في كتابه «مختصر منهاج القاصدين» وأيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» [٣٠٧/٩] وما بعدها [٩١/١٠] وما بعدها وهذا لمن أراد الاستفادة، ونسأل الله أن يجعل هذه الرسالة في ميزان حسنات الحافظ ابن رجب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفعنا بها والعمل بما فيها ونسأل الله أن يعافينا وإياكم من قسوة القلب وذمه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ أبو مريم

طارق بن عاطف بن حجازي

عملى فى دراسة وتحقق الكتاب

١- قدمت له بدراسة تناولت موضوع الكتاب، وتناولت بعض الجوانب المهمة التى تتعلق به.

٢- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى السور مع ذكر رقمها.

٣- قمت بتخريج الأحاديث وتحققها وهى على نوعين:

الأول: ما كان فى الصحيحين أو أحدهما، وقد اكتفيت بالعزو إليهما فقط أو أحدهما، مع بيان نقد الحديث إن كان مستقداً عليهما أو على أحدهما.

الثانى: ما كان خارج الصحيحين فقد توسعت فى تخريجه وجمع طرقه حتى يتبين علله كما قال على بن المدينى: وما كان منها ضعيفاً اجتهدت - قدر الإمكان - فى الإتيان بشواهد تصححه أو تحسنه على ما سترى إذا كانت تصلح للتقوية، وإن لم تكن كذلك فمعلوم أن الحديث سيظل فى قسم الضعيف كما هو.

٤- التعليق على المواضع التي تحتاج إلى ذلك، وقد يطول التعليق حسب الحاجة.

٥- تفسير بعض الكلمات المشتبهة.

٦- علقت على كلام الحافظ ابن رجب في بعض المواضع القليلة تميمًا للفائدة.

٧- قمت بعمل الفهارس العلمية للكتاب.

أرجو الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، وأن يهدينا لما ينفعنا في ديانا وآخرتنا.

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تنبيه: لم أكتب هنا ترجمة للمؤلف، ومكانته العلمية وذلك لشهرته عند الخاصة والعامة؛ فلا يكاد يخلو كتاب من كتب التراجم من ذكره، لذا رأيت عدم الإطالة بكتابة ترجمة له، فمن أراد الوقوف على شيء من ذلك فليرجع إلى كتب الرجال والتاريخ فسيجد بغيته - إن شاء الله تعالى - والله الموفق.

بحث مختصر في ذم قسوة القلب

القسوة لغة :

مصدر قولهم قسا يقسو إذا غلظ قلبه ، وهو مأخوذ من مادة [ق س و] التي تدل على شدة وصلابة ، ومن ذلك الحجر القاسى أى الصلب .

والقاسية : الليلة الباردة ، قال الراغب : القسوة : غلظ القلب ، وأصل ذلك من الحجر القاسى ، والمقاساة معالجة ذلك [أى القسوة] .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة : ٧٤] أى خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى .

قال القرطبي : القسوة هى الصلابة والشدة واليبس^(٣) . وقال عز من قائل : ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر :

(٣) تفسير القرطبي [١/٣١٧] .

[٢٢] فالمراد تلك القلوب الصلبة التي لا تعي خيراً ولا تفعله^(٤).

ويقال: أقساه الذنب [جعله قاسياً]، والذنب مقساة للقلب، ويوم قسى أى شديد من حر أو برد، وقولهم: قسا الدرهم يقسو قسواً: معناه زاف أى ردؤ فهو قسى، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً، وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقرئ: «قسية» أى ليست قلوبهم بخالصة، من قولهم: درهم قسى وهو جنس من الفضة المغشوشة، فيه قسوة أى صلابة.

وقال ابن منظور:

القسوة: الصلابة فى كل شىء، والقسوة فى القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، يقال: قسا قلبه قسوة، وقساوة وقساء بالفتح والمد: وهو غلظ القلب وشدته، والمقاساة: مكابدة الأمر الشديد وقاساه أى كابده. ويوم قسى، مثال

(٤) المرجع السابق [٧٦/٦].

شقى : شديد من حرب أو شر^(٥).

القسوة اصطلاحاً :

قال المناوى [تبعاً للراغب] : القسوة غلظ القلب^(٦).

وقال العز بن عبد السلام : القسوة تصلب القلب ونبوته عن اتباع الحق ، ورقته [أى القلب] ولينه بخلاف ذلك^(٧).

وقال الجاحظ : القساوة هى التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى ، وهى خلق مركب من البغض والشجاعة^(٨).



(٥) مقاييس اللغة [٨٧/٥] ، والمفردات [٤٠٤] . لسان العرب لابن منظور [١٨٠/١٥ - ١٨١] ، والصحاح [٢٤٦٢/٦] تاج العروس [٧٩ - ٨٠] .

(٦) التوقيف [٢٧٢] والمفردات للراغب [٤٠٤] .

(٧) شجرة المعارف والأحوال [١٢٠] .

(٨) تهذيب الأخلاق [٣٠] .

الآيات الواردة في «القسوة»

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٤].

٢- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٢ - ١٣].

٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣].

٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٣].

٥- ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

٦- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [الحديد:
١٦].



الأحاديث الواردة في ذم «القسوة»

١- عن أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ: وَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ: «الْإِيمَانُ هَا هُنَا - مَرَّتَيْنِ - أَلَا وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلْظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ»^(٩) حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةً وَمُضَرًّا^(١٠).

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن عطاء بن يسار سأل أن يخبره عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت

(٩) الفدادين: جمع فداد. وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة. وهو من الفديد، وهو الصوت الشديد، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم، ونحو ذلك.

(١٠) حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر: قوله ربيعة ومضر بدل من الفدادين وأما قرنا الشيطان فجانباً رأسه. وقيل: هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس وقيل: شيعتاه من الكفار؟
والحديث أخرجه البخاري [٣٣٠٢] وله أطراف، ومسلم [٥١].

عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب^(١١) فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعين عمى، وآذان صم، وقلوب غلف^(١٢)»^(١٣).

من مضار القسوة والغلظة والفظاظة:

- ١- القسوة تذهب اللين والرحمة والخشوع من القلب.
- ٢- أن صاحب القلب القاسى بعيد من الله بعيد من الناس.
- ٣- القسوة تزيل النعم وتحل النقم.
- ٤- فى الفظاظة وغلظ القلب مع المسلمين ما يؤدى إلى

(١١) سخاب: بالسين، وصخاب: بالصاد: وهو رفع الصوت بالخصام.

(١٢) غلف: كل شىء فى غلاف، سيف أغلف، وقوس غلفاء، ورجل أغلف: إذا لم يكن مختوناً.

(١٣) أخرجه البخارى [٢١٢٥، ٤٨٣٨].

تفرق كلمتهم وطمع العدو فيهم.

٥- الفظاظة والغلظة تؤديان - خاصة في مجال الدعوة إلى الله - إلى انصراف الناس عن الداعية ، ونفورهم منه (١٤).



(١٤) نقلا عن نضرة النعيم [ص ٥٣٢٤ - ٥٣٢٨] بتصريف يسير واختصار.

طهارة القلب

ولا يفوتنا أن ننبه على أصل عظيم ألا وهو سلامة القلب
فهي التي تنفع المؤمن عند لقاء ربه عز وجل : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء :
٨٨ ، ٨٩] وإنابة القلب هي التي تجلب لصاحبها الجنان بإذن
الله قال الله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٢١) هَذَا
مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ
بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا
يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [ق : ٣١ - ٣٥] .

فسلامة القلب تقتضي أن يكون خالياً من العقائد الفاسدة
والمذاهب الباطلة والميل والركون إلى شهوات الدنيا ولذاتها ،
وتقتضي سلامته عن الجهل والأخلاق الرذيلة ، فهو قلب قد
سلم وسالم وأسلم واستسلم لله رب العالمين ، قلب لم يعجرفه
حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، قلب لم يشغله

المال والبنون عن طاعة ربه والإخبات إليه، فهو قلب لديغ من خشية الله، قلب وجلٌ بذكر الله.

فليست العبرة فقط بطهارة البدن وبهاء الثياب بل لا بد من سلامة القلب وصلاحه، فبصلاحه يصلح سائر الجسد كما قال النبي ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ؛ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١٥)، وهو

(١٥) صحيح: أخرجه البخاري [٥٢] ومسلم [١٥٩٩].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري [١٥٦/١] ط. دار الريان: «... وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركب الله فيه...».

لمزيد فائدة في شرح الحديث انظر فتح الباري للحافظ ابن رجب =

الذى ينظر الله إليه، فالله سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب والأعمال لا إلى الصور والأجساد فقد قال رسول الله ﷺ :
 «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١٦).

فأمر القلوب موكل إلى الله سبحانه وتعالى فهو وحده سبحانه المطلع عليها، وهو وحده سبحانه يعلم السر وأخفى، ويعلم الجهر والنجوى، فكان لزاماً أن تطهر القلوب ويزال ما قد ران عليها من الذنوب، وذلك يستلزم بيان مسببات فساد القلوب حتى يطهر الشخص قلبه منها وينقى نفسه من شوائبها.



= وجامع العلوم والحكم، وشرح مسلم للنووي وغيرها.

(١٦) صحيح أخرجه مسلم [٢٦٥٤].

أسباب فساد وقسوة القلوب

أولاً: الشرك بالله عز وجل بصورة كافة كاعتقاد النفع والضرر في غير الله سبحانه وتعالى وكالتحاكم إلى غير شريعة الله مؤثرين لها على شريعة الله، وكطلب الغوث والعون والمدد من غير الله سبحانه وتعالى، فالقلب لا يزال قلماً مضطرباً فزعاً لا يقر له قرار ولا يهدأ لصاحبه بال ما دام مشركاً، قال الله سبحانه: ﴿سَخَّطْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

ويلزم المسلم أيضاً أن يطهر قلبه من خفى الشرك ويسيره وهو الرياء الذي يجلب لصاحبه النيران وحبوط العمل، وما عسى أن تنفع طهارة البدن وبهاء الثياب وصاحبها من أهل النار، وماذا عسى أن تجدى وعمل صاحبها باطل.

قال الله سبحانه في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ

وَشِرْكُهُ» (١٧) وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيٌّ؛ فَقَدْ قِيلَ؛ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ؛ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُتَّقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ؛ فَقَدْ قِيلَ؛ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» (١٨).

(١٧) صحيح أخرجه مسلم [٢٩٨٥].

(١٨) صحيح أخرجه مسلم [١٩٠٥].

ثانيًا: الإعراض عن الحق واتباع غير سبيل المؤمنين والابتداع والإحداث في الدين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ثالثًا: الغل والحسد للمؤمنين، ولذلك كانت دعوة الصالحين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

رابعًا: المعاصي بجملتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقال رسول الله ﷺ^(١٩): «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ

(١٩) إسناده حسن وسيأتي تخريجه.

رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ .

وقال رسول الله ﷺ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَحَّخًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» (٢٠).

خامسًا: نقض العهود والمواثيق فينقض العهد يقسو القلب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

سادسًا: كتمان الشهادة: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

سابعًا: خضوع النساء بالقول، ومن ثم فقد أمر الله سبحانه

النساء بترك الخضوع بالقول، فقال عز من قائل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ثامنًا: كثرة الكلام بغير ذكر الله وكثرة الضحك.

قال الحسن البصري: «لَا تُكْثِرُ الضَّحِكُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمَيِّتُ الْقَلْبَ» (٢١).

تاسعًا: كثرة الأكل ولا سيما إن كان من الشبهات أو الحرام.

قال بشر بن الحارث: «خَصِلَتَانِ تَقْسِيَانِ الْقَلْبَ، كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ» (٢٢).

(٢١) إسناده صحيح:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف [٣٣٨/٥] وسيأتي.

(٢٢) إسناده صحيح:

أخرجه أبو نعيم في الحلية [٣٥٠/٨] والبيهقي في الشعب [٥٧٠٥] وسيأتي.

وذكر المروزي في كتاب الورع^(٢٣)، قال: قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - : يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع؟

قال: ما أرى.

هذه بعض مسببات فساد القلوب.



(٢٣) [ص ١٢٠] باب التقليل وترك الشهوات ط. دار ابن رجب.

مطهرات القلوب ومثبتاتها

أما مطهرات القلوب ومثبتاتها بإذن الله فمنها :

١- الإيمان بالله - عز وجل - والرضا بقضائه والصبر على بلائه، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١].

قال رسول الله ﷺ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا ، لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (٢٤).

٢- ذكر الله - سبحانه وتعالى - قال الله سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي مِثَابِ ﴿٢٩﴾ [الرعد : ٢٨ - ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى

ذِكْرِ اللَّهِ ﴿[الزمر: ٢٣]﴾ (٢٥).

٣- العلم الشرعي «الذي هو العلم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، فيه يستيقظ المؤمن من غفلته ويتفطن ويجالد ويجاهد نفسه، فإذا ران على قلبه ران بادر بالاستغفار لإزالته وبأداء الحقوق إلى أهلها لمحوه.

وكمثال لأثر العلم الشرعي على مسببات فساد القلوب مثلاً نسوق مثلاً لذلك سبباً من أسباب فساد القلوب المذكورة وهو الحسد، فإذا علم المسلم أنه بحسده للشخص معترضاً على قضاء الله وقدره فإن الله هو الذي يقسم الأرزاق هو سبحانه الذي يعطي ويمنع، هو سبحانه المعز المذل يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويجعل من يشاء عقيماً، إذا علم أن الله هو القابض الباسط الخافض الرافع... إذا علم ذلك كله تيقن وتأكد أنه بحسده للمسلم معترضاً على تقسيم الله وأقدار الله فانزجر وكف حسده عن المحسود فيطيب الله قلبه ولا

(٢٥) وفوائد الذكر كثيرة انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم حيث أجاد وأفاد.

تتراكم على قلبه تلك الذنوب التي جرّها إليه الحسد.

إذا علم الحاسد أنه متشبه بالمشرّكين فإنّ المشرّكين هم الذين يرغبون في زوال الخير عن المؤمنين ونزول البلايا والنقم والأمراض والأسقام عليهم وتفشى الفاحشة فيهم والجهر بها في أوساطهم، إذا علم أنّ المشرّكين حسدوا رسول الله على نبوته وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٢١) وأنّ الله أجابهم على ذلك بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢٢) إذا علم المسلم ذلك لأنزجر عن تشبهه بالمشرّكين، ومن ثمّ انزجر عن حسده للمؤمنين فطاب قلبه وطهر وصقل.

إذا علم الحاسد أنه متشبه بالشياطين وملبّ لإبليس رغبته، فإنّ الشيطان هو الذي يتمنى زوال جميع النعم عن المؤمنين ويتمنى أن يكون مآلهم جميعاً إلى الجحيم، إذا علم الحاسد ذلك وعلم أنه بحسده للمؤمن يلبى لإبليس رغبته ويشبع له

شهوته ويعطيه مناله ومراده لانكف عن حسده وبادر بالتوبة والدعاء للمؤمنين بدلًا من الدعاء عليهم، وتمنى الخير لهم بدلًا من تمنى زواله عنهم، ومن ثم يبيض قلبه ويزكو عمله.

إذا علم الحاسد أنه بحسده للناس يغضب الله - سبحانه وتعالى - عليه ويجلب مقت الله له، وأى غضب وأى مقت أكبر من غضب الله، ومقت الله، عافانا الله والمسلمين من ذلك، إذا علم الحاسد هذا وأن الله إذا أبغض عبدًا نادى جبريل فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء فى الأرض، إذا علم الحاسد هذا كله لتاب وأسرع فى الإنابة إلى ربه والاستغفار إليه.

إذا علم الحاسد أنه يجلب كراهية الناس له لما يعلمون منه من تمنيه لزوال النعمة عنهم فيبغضونه كما يبغضهم ويكرهونه كما يكرههم ويمقتونه كما يمقتهم، ويتمنون زوال النعمة عنه كما يتمنى زوال النعمة عنهم إذا علم ذلك لترك حسده ومن ثم طهر قلبه.

إذا علم الحاسد أنه لن يضر الناس شيئًا ولن يضر إلا نفسه

فالله يبسط الرزق للناس وهو في هم زائد والله يعافى ويعز من يشاء وهو في قلق دائم، والله يرزق من يشاء البين والبنات وهو في نكد دائم وكرب متصل، يرفع الله العباد ويزيده خيبة وخبالاً، يعز الله العباد ويزيده مذلة وهواناً. إذا علم الحاسد ذلك كله لترك حسد العباد ولنام وليس في قلبه دغل لأحد.

إذا علم الحاسد أن مثله مع المحسود كمثّل رجل أخذ حجراً ليقدفه في وجه آخر فقدّفه بقوة تجاه وجهه فقوته الرجل فارتد الحجر على عين راميّه وقاذفه ففقاً عينه، فاشتد غضب الرامي فأخذ حجراً آخر فرماه بقوة أشد في عين عدوه فقوته العدو فارتد على عين الرامي الأخرى ففقأها، فشتد حنق الرامي واشتد وقوى غيظه واحتد فأخذ صخرة كبرى يرميها بقوته ويقذفها بشدته على رأس عدوه فقوتها العدو فنزلت على رأس راميها وقاذفها فهشمته، فقأت عينا الرامي وهشمت رأسه والآخر لم يصب بسوء ولم ينله مكروه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾. إذا علم الحاسد

هذا كله لانزجر وانكف عن حسده ولبادر بالاستغفار الذى بدوره يطهر قلبه ويزيل ما ران عليه، ومن ثم تظهر فائدة العلم الشرعى فى تطهير القلوب، وهذا كمثال من الأمثلة، ﴿وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

٤- سؤال الثبات من الله - عز وجل - : فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

ولذلك كانت دعوة المؤمنين أولى الأبواب الراسخين فى العلم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران : ٨] ، وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢٦) ، وكان عليه الصلاة والسلام أكثر ما يحلف : «لَا وَمُقَلِّبَ الْقُلُوبِ»^(٢٧) وكان صلوات الله وسلامه عليه يدعو

(٢٦) أخرجه الترمذى [٢١٤٠] وغيره من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وهو عند الترمذى أيضاً [٣٥٢٢] من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه .

(٢٧) أخرجه البخارى [٧٣٩١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

فيقول «... وَتَقَّى قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ» (٢٨).

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقول كذلك: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» (٢٩). وكانت دعوة المؤمنين أيضا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٥- كثرة الاستغفار وملازمته، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُّ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً» (٣٠).

وقال الله - سبحانه وتعالى - لنساء نبيه ﷺ لما صغت

(٢٨) أخرجه البخاري [٦٣٦٨] ومسلم [٤٩] [٢٧٠٥].

(٢٩) أخرجه مسلم [٢٦٥٤] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣٠) صحيح: أخرجه مسلم [٢٧٠٢] من حديث الأغر المزني رضي الله عنه مرفوعاً.

قلوبهن ومالت: ﴿إِنْ نُّؤَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
[التحریم : ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً
نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ
قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ:
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» (٣١).

٦- الاستعاذة من قلب لا يخشع فقد كان النبي ﷺ يقول في
دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» (٣٢)،
وكان رسول الله ﷺ يعلم بعض أصحابه أن يتعوذ من شر قلبه
فيقول: قل: «أعوذ بك من شر سمعي، وشر بصري، وشر قلبي،
وشر مني» (٣٣).

(٣١) إسناده حسن وسيأتي تخريجه.

(٣٢) أخرجه مسلم [٢٧٢٢] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً، وله
طرق أخرى عن النبي ﷺ. انظر سنن النسائي [٢٥٥/٨].

(٣٣) أخرجه النسائي بسند صحيح [٢٥٥/٨ - ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠] =

٧- حضور مجالس الذكر والمواعظ ورؤية الصالحين ومجالستهم، فإن مجالس الذكر والمواعظ ترقق القلوب كما قال العرياض بن سارية رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (٣٤).

وكذلك فإن لمجالس الذكر تأثيراً في صلاح القلوب ورفع الشقاء، فقد أخرج البخاري [٦٤٠٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

= من حديث شكل بن حميد.

(قلت طارق) وانظر كتابي «غصن البصر» ط. دار الحكمة.

(٣٤) أخرجه أبو داود [٤٦٠٧] وهو صحيح.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتُكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوتُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ، مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ

مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وأخرج مسلم [٢٧٥٠] من حديث حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال: لَقِيتُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا ^(٣٥) الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ ^(٣٦) فَتَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا؛ فَاِنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(٣٥) فِي اللِّسَانِ: الْعَفْسُ: الضَّرْبُ عَلَى الْعِجْزِ، وَعَفَسَ الرَّجُلُ الْمَرَأَةَ بِرَجْلِهِ يَعْفِسُهَا ضَرْبَهَا عَلَى عَجِيزَتِهَا يَعَافِسُهُ وَتَعَافِسُهُ، وَعَافَسَ أَهْلَهُ مَعَافَسَةً، عَفَاسًا وَهُوَ شَبِيهِ بِالْمَعَالِجَةِ، وَالْمَعَافَسَةُ الْمَدَاعِبَةُ وَالْمِمَارَسَةُ يُقَالُ: فَلَانِ يَعَافِسُ الْأُمُورَ أَيْ يَمَارِسُهَا وَيَعَالِجُهَا، وَالْعَفَاسُ الْعِلَاجُ وَالْمَعَافَسَةُ الْمَعَالِجَةُ.

(٣٦) الضَّيْعَةُ: هِيَ مَعَاشُ الرَّجُلِ مِنْ مَالٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ حَدِيقَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَى عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافِسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ؛ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً» (٣٧) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

٨- دفع الشبهات عن المؤمنين حتى تطهر قلوبهم وتركوا نفوسهم، فقد أخرج البخاري: [٢٠٣٥] من حديث أم المؤمنين صفية بنت حبي قالت: أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَهْلِيهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ:

(٣٧) في رواية لمسلم: يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق.

«عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةٌ بِنْتُ حَبِيبٍ»، فَقَالَا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ؛ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

٩- البعد عن مواطن الفتن: قال الله سبحانه وتعالى :
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٠- قلة الضحك، فإن كثرة الضحك تमित القلب.

١١- ومنها زيارة القبور بالتفكر في حال أهلها ومصيرهم.

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره^(٣٨) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

١٢- ومنها النظر في ديار الهالكين، والاعتبار بمنازل الغابرين.

(٣٨) صحيح :

أخرجه مسلم [٩٧٧] وسيأتي .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها، فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: كل شيء هالك إلا وجهه ^(٣٩).

١٣- ومنها أكل الحلال والإحسان إلى اليتامى والمساكين وذكر الموت وغيرها من الأسباب الكثيرة التي تساعد على إزالة قسوة القلب.

هذه هي بعض مصلحات القلوب ومطهراتها، طهر الله قلوبنا وقلوب المسلمين من كل مكروه وسوء، وجعلنا الله من المقبلين عليه بقلب أواه منيب، وأنار الله قلوبنا والمسلمين وأسماعنا وأبصارنا، وجعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ^(٤٠).

(٣٩) إسناده حسن:

أخرجه ابن المبارك في الزهد [ص ١٤٤] [٦٣٩] وأحمد في الزهد [ص ١٩١] وأبو داود في الزهد [٣٢٣] وغيرهم وسيأتي.

(٤٠) نقلاً عن كتاب شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي في كتابه =

= الماتع «جامع أحكام النساء» [٢٤٦/١ - ٢٦٩] بتصرف يسير واختصار وإضافة.

ولمزيد فائدة وبحث فى هذا الموضوع: انظر:

- ١- اعتلال القلوب للخرائطى .
- ٢- إحياء علوم الدين للغزالي .
- ٣- إغاثة اللفهان .
- ٤- مدارج السالكين .
- ٥- الرابل الصيب .
- ٦- الداء والدواء .
- ٧- ذم الهوى لابن الجوزى .
- ٨- ومنهاج القاصدين لابن قدامة .
- ٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية [٣٠٧/٩ ، ٩١/١٠] وما بعدها وغيرها .
- ١٠- وزاد المعاد بداية المجلد الرابع .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العلامة الحافظ زين الدين ابن الشيخ أبي العباس
أحمد بن رجب - فسخ الله في مدته ونفع به :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

رسالة في ذم قسوة القلب وذكر أسبابها وما تتول به

أما ذم القسوة، فقال تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] ^(٤١).

(٤١) قال القرطبي في تفسيره [١/ ٤٣٠]:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القسوة: الصلابة والشدة
والْيُس. وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله
تعالى.

قال ابن كثير في تفسيره [١/ ١١٣]:

ثم بين وجه كونها أشد قسوة، بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

= يقول تعالى توبيحاً لبني إسرائيل وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ كله فهي كالحجارة التي لاتلين أبداً، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُوتُكَ ۝١٦﴾.

قال السعدي في تفسيره [ص ٣٧]:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أى: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أى: من بعد ما أنعم الله عليكم بالنعمة العظيمة، وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم؛ لأن ما شاهدتم مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قوتها بأنها ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ التى هى أشد قوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب فى النار ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ أى: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست «أو» بمعنى «بل».

لَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿[الحديد: ١٦]﴾ (٤٢).

(٤٢) قال ابن كثير فى تفسيره [٣١٠/٤]:

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن وتفهمه وتنفاد له وتسمع له وتطيعه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمر بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم، واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتلفة وقلدوا الرجال فى دين الله، واتخذوا آخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسُوتُ﴾ أى فى الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى: ﴿فَيَسُوتُ نَفْسُهُمْ لَمَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أى خسرت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التى أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم فى شىء من الأمور الأصلية والفرعية.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى
نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢] (٤٣) فوصف أهل الكتاب

= قال السعدى فى تفسيره [ص ٧٨٠]:

أى: ألم يأت الوقت الذى به تلين قلوبهم، وتخضع لذكر الله الذى
هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذى جاء
به محمد ﷺ؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد، على خشوع القلب
لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون
المواعظ الإلهية، والأحكام الشرعية، كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم
على ذلك.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أى: ولا
يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب
والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه ولم يشبوا، بل طال عليهم
الزمان، واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيمانهم
﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ فِيهِمْ فَسِقُوتٌ﴾ فالقلوب تحتاج فى كل وقت إلى
أن تذكر بما أنزل وتناطق بالحكمة، ولا ينبغى الغفلة عن ذلك فإنه
سبب لقسوة القلب وجمود العين.

(٤٣) قال الطبرى فى تفسيره [٢٣/٢٤٨]:

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فويل =

بالقسوة، ونهانا عن التشبيه بهم.

قال بعض السلف: لا يكون أشد قسوة من صاحب الكتاب

= للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعنى عن القرآن الذى أنزله تعالى ذكره، مذكرًا به عبادته، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الناس قلوبهم من ذكر الله فى ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه فى ضلال عن الحق جائر.

قال السعدى فى تفسيره [ص ٦٦٨]:

أى: أقيستوى من شرح الله صدره بالإسلام، فاتسع لتلقى أحكام الله والعمل بها، منشرحًا قدير العين، على بصيرة من أمره، وهو المراد بقوله: ﴿فَهَرَّ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن ليس كذلك، بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّنْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ﴾ أى: لا تلين لكتابة، ولا تتذكر آياته ولا تطمئن بذكره، بل هى معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وأئى ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة فى الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره!!

إذا قسا (٤٤).

وفى «الترمذى»، من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أْبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي» (٤٥).

(٤٤) إسناده ضعيف:

رواه أبو نعيم فى الحلية [٩٨/٣] عن أبى نضرة قال: «كنا نتحدث أنه ليس شيء أشد قسوة من صاحب كتاب إذا قسا». (قلت): فى إسناده مسعدة بن اليسع الباهلى. قال الذهبى فى الميزان [٩٨/٤]: «... هالك كذبه أبو داود...».

(٤٥) ضعيف:

أخرجه الترمذى [٢٤١١] والبيهقى فى [شعب الإيمان] [٤٩٥١]، [٤٩٥٢] وابن مردويه كما فى تفسير ابن كثير [١٠٣/١] (آية ٧٤ من سورة البقرة) وغيرهم من طريق إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً به. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب.

وفى «مسند البزار»، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَالْحِرْصُ

= وفى «تحفة الأشراف» [٤٤٥/٥]: غريب، ونقل ابن كثير فى «تفسيره» قول الترمذى «غريب».

قال الذهبى فى «الميزان» [٤١/١]: هذا مدنى مقل ما علمت فيه جرحاً، وروى عنه أبو النضر والقعنبي، ومن غرائب حديثه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره...

(قلت طارق) وإبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب الجمحى أورده ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل [١١٠/٢] ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وقال ابن حبان فى الثقات: مستقيم الحديث، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله، قاله الحافظ فى التهذيب، وقال فى التقريب: صدوق روى مراسيل.

(قلت): والقول قول من ضعفه والله أعلم.

والحديث عزاه السيوطى فى الدر المنثور [٦٠٩/٥] للترمذى وابن مردويه وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والبيهقى فى شعب الإيمان، وانظر أيضاً كنز العمال للهندي [٤٣٩/١].

وانظر شرح الحديث فى تحفة الأخوذى [٢٨١/٦] ط. دار الحديث والله أعلم.

عَلَى الدُّنْيَا» (٤٦).

(٤٦) ضعيف جدًا:

أخرجه البزار [٣٢٣٠] وابن الجوزي في الموضوعات [١٢٥/٣] من طريق هانئ بن المتوكل ثنا عبد الله بن سليمان وأبان عن أنس مرفوعًا به .

قال البزار: عبد الله بن سليمان حدث بأحاديث لم يتابع عليها . قال ابن الجوزي: أما الطريق الثاني ففيه هانئ بن المتوكل ، قال ابن حبان: كثرت المناكير في روايته لا يجوز الاحتجاج به ، وعبد الله بن سليمان مجهول ، انظر المجروحين لابن حبان [٩٧/٣] . قال الذهبي في الميزان [٢٩١/٤]: هذا حديث منكر . قال الهيثمي في المجمع [٢٢٦/١٠]: رواه البزار وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف .

قال المناوي في فيض القدير [٤٦٧/١]: «...» ورواه البزار من طريق فيها هانئ المتوكل فقال الهيثمي: وهو ضعيف جدًا ولذا حكم ابن الجوزي بوضعه وأقر عليه المؤلف في مختصر الموضوعات .

(قلت طارق): يعنى السيوطي في اللآلئ المصنوعة والله أعلم . وفي إسناده أيضًا أبان وهو ابن أبي عياش متروك . وانظر شرح الحديث في فيض القدير [٤٦٧/١] والله أعلم .

وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، من طريق أبي داود النخعي الكذاب، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس (٤٧).

(٤٧) ضعيف جدًا:

أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان [٢٤٦/١] وابن عدي في الكامل [٢٤٨/٣] وابن الجوزي في الموضوعات [١٢٥/٣] من طريق سليمان بن عمرو بن وهب عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعًا به.

قال ابن عدي: وهذان الحديثان وضعهما سليمان بن عمرو على إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة.

قال ابن الجوزي: أما الطريق الأول ففيه أبو داود النخعي، قال أحمد ويحيى: كان يضع الأحاديث انظر تاريخ بغداد [١٥/٩]، والكامل [٢٤٥/٣] وغيرهما، قال ابن عدي: وضع هذا على إسحاق وفيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث اهـ.

قال الشوكاني في الشوائد المجموعة: في إسناده وضاعان.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية [١٧٥/٦] عن الحسن بن عثمان: ثنا أبو سعيد المازني: ثنا حجاج بن منهال عن صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك مرفوعًا به.

= قال أبو نعيم: تفرد برفعه متصلاً عن صالح حجاج.
 (قلت): في إسناده صالح المري وهو ضعيف، ومثله أيضاً يزيد
 الرقاشي، والحسن بن عثمان كذبه ابن عدي في الكامل [٣٤٥/٢]
 وانظر الميزان [٥٠٢/١].

قال المناوي في فيض القدير [٤٦٧/١]:
 وقال الهيثمي صالح المري ضعيف، وفي الميزان هذا حديث منكر
 اهـ.

والحسن بن عثمان قال الذهبي في الضعفاء كذبه ابن عدي ويزيد
 الرقاشي متروك.

قال المناوي في فيض القدير [٤٦٦/١، ٤٦٧]:
 «أربع» وفي رواية أربعة «من» أي من علامات «الشقاء» ضد السعادة
 «جمود العين» قلة دمعها كناية عن قسوة القلب، كذا قيل، وعليه
 فالعطف في قوله «وقسوة القلب» تفسيري والأوجه أن يقال إنه
 إشارة إلى أن قلة دمع العين إنما يكون من علامة الشقاء إذا كان
 ناشئاً عن قسوة القلب وأنه لا تلازم بينهما وقسوته وغلظته وشدة
 وصلابته في غير الله «والحرص» أي الرغبة في الدنيا والانهماك في
 تحصيلها وطلب الازدياد منها والحرص يحتاجه الإنسان لكن بقدر
 معلوم، فإذا تعدى الحد المحدود فقد أفسد دينه فكان بهذا الوجه
 من علامات الشقاء «وطول العمر» بالتحريك رجاء الإكثار من=

وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، ذكره عبد الله بن أحمد في «الزهد»^(٤٨).

وقال حذيفة المرعشي: ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه، رواه أبو نعيم^(٤٩).

= الإقامة في الدنيا وزيادة الغنى».

(٤٨) إسناده حسن:

أخرجه أحمد في الزهد [ص ٣٢٠] حدثني سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالكا يقول: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. وأخرجه أبو نعيم في الحلية [٢٨٧/٦] حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن إبراهيم ثنا سليمان ثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول: «إن لله عقوبات في القلوب والأبدان، ضحك في المعيشة ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب».

وانظر تفسير القرطبي تفسير سورة الزمر آية [رقم ٢٢]

(٤٩) إسناده ضعيف:

أخرجه أبو نعيم في الحلية [٢٦٩/٨].

(قلت): في إسناده يوسف بن أسباط.

قال الذهبي في الميزان [٤٦٢/٤]: «وثقه يحيى بن معين، قال =

وأما أسباب القسوة فكثيرة :

منها : كثرة الكلام بغير ذكر الله ؛ كما فى حديث ابن عمر السابق (٥٠) .

ومنها : نقض العهد من الله - تعالى - قال - تعالى - :
﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾
[المائدة : ١٣] .

قال ابن عقيل يوماً فى وعظه : يا من يجد من قلبه قسوة ،
احذر أن تكون نقضت عهداً ؛ فإن الله يقول : ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ
مِّيثَقَهُمْ﴾ [المائدة : ١٣] (٥١) .

= أبو حاتم لا يحتج به ، وقال البخارى : كان قد دفن كتبه فكان لا
يجىء بحديثه كما ينبغى .

(٥٠) ضعيف وقد تقدم .

(٥١) قال ابن كثير فى تفسيره [٣٤ / ٢] : ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أى : فبسبب نقضهم الميثاق الذى أخذ
عليهم لعناهم أى أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى
﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أى : فلا يتعظون بموعظة لغلظها =

= وقساوتها.

قال السعدى فى تفسيره [ص ١٨٧]:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ أى: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات! الأولى: أن «لعنهم» أى: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذى أخذ عليهم، الذى هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أى: غليظة لا تجدى فيها المواعظ ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة، التى لا يفيد معها الهدى، والخير إلا شراً. (قلت طارق): قال تعالى أيضاً: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

قال القرطبى فى تفسيره [٦/٣٣٣]:

وهذا عتاب على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب ويجوز أن يكونوا تضرعوا تضرع من لم يُخلص، أو تضرعوا حين لا يسهم العذاب،، والتضرع على هذه الوجوه غير نافع...

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أى صلبت وغلظت، وهى عبارة عن الكفر =

ومنها: كثرة الضحك؛ ففي الترمذى، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ» (٥٢).

= والإصرار على المعصية نسأل الله العافية ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى أغواهم بالمعاصى وحملهم عليها. قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣]. قال السعدى فى تفسيره [ص ٩٤١]:

﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أى: الغليظة، التى لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، يجادلوا به وشاقوا الله ورسوله.

(٥٢) ضعيف:

أخرجه أحمد [٣١٠/٢] والترمذى [٢٣٠٥] وأبو يعلى [٦٢٤٠] والخرائطى فى مكارم الأخلاق [ص ٤٩] رقم [٢٤٢] وأبو نعيم فى الحلية [٢٩٥/٦] والشجرى فى الأمالى [١٩٨/٢] والطبرانى فى الأوسط [٧٠٥٠] والبيهقى فى الشعب [٩٥٤٣، ١١٢٨] وغيرهم من طريق جعفر بن سليمان عن أبي طارق عن الحسن به مطولاً. قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً، هكذا روى عن=

وقال: روى عن الحسن قوله (٥٣).

وخرج ابن ماجه، من طريق أبي رجاء الجَزْرِي، عن برد بن سنان، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، عن أبي هريرة،

= أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة، وروى أبو عبيدة الناجي عن الحسن هذا الحديث قوله، ولم يذكر فيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن تفرد به جعفر عن أبي طارق.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا أبو طارق تفرد به جعفر بن سليمان.

قال العجلوني في كشف الخفا [٤٤ / ١] رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة بسند ضعيف.

(قلت): في إسناده أبي طارق وهو السعدي البصري مجهول.

وانظر شرح الحديث في تحفة الأحوذى [١٧٧ / ٦] ط. دار الحديث.

(٥٣) إسناده صحيح:

أخرجه ابن أبي شيبة [٣٣٨ / ٥] وابن سعد في الطبقات [١٧١ / ٧] وأبو نعيم في الحلية [١٥٢ / ٢] من طريق عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن قوله.

قال: قال رسول الله ﷺ: «كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ» (٥٤).

(٥٤) ضعيف:

أخرجه البخارى فى الأدب المفرد [٢٥٢] وهناد فى الزهد [١٠٣١]،
[١١٤٨] وابن ماجه [٤٢١٧] وأبو يعلى [٥٨٦٥] والخرائطى فى
مكارم الأخلاق [ص ٤٦] رقم [٢٣٣] والطبرانى فى الشاميين
[٣٨٥، ٣٤٠٣] والقضاعى فى مسند الشهاب [١١١، ٦٣٩، ٦٤٠]
وأبو نعيم فى الحلية [١٠/٣٦٥] وفى أخبار أصبهان [٢/٣٠٢]
والبيهقى فى الزهد [٨٢٢] وفى الأدب [٤٤٢] وأبو عبد الرحمن
السلمى فى الأربعين الصوفية [١٠] والمزى فى تهذيب الكمال
[٢٧٨/٢٧، ٢٧٩] وغيرهم من طريق أبى رجاء عن برد بن سنان
عن مكحول عن وائلة بن الأسقع عنه.

قال أبو نعيم تغرد به أبو رجاء واسمه محرز بن عبد الله بن يزيد بن
سنان.

قال أبو داود: ليس به بأس شامى يحدث عنه الكوفيون، وذكره ابن
حبان فى الثقات وقال: كان يدلس عن مكحول يعتبر بحديثه ما بين
فيه السماع من مكحول وغيره [انظر تهذيب التهذيب] وأيضاً فى
المجروحين [٣/١٥٨]: أبو رجاء الجزرى شيخ يروى عن فرات بن
السائب وأهل الجزيرة المناكير الكثير التى لا يتابع عليها، لا يجوز
الاحتجاج بخبره إذا انفرد لغلبة المناكير على أخباره.

= روى عنه حفص بن غياث والكوفيون.

(قلت طارق): قال عنه الحافظ في التقريب صدوق يدلّس والله أعلم.

قال الهيثمي في المجمع [٢٩٦/١٠] رواه الترمذي وابن ماجه ورواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفهم.
قال البوصيري في مصباح الزجاجة [٢٤٠/٤]:
إسناده جيد.

(قلت طارق): كيف وأن مكحولاً وأبا محرز مدلسان وقد عنعنا وأيضاً سماع مكحول من وائلة فيه خلاف، راجع جامع التحصيل، وتحفة التحصيل.

وأضف إلى ذلك ما ذكره الدارقطني في العلل [٢٦٣/٧ - ٢٦٥] رقم [١٣٣٩] من اختلاف في هذا الحديث ثم قال: «... والحديث غير ثابت»

وفي الباب عن أبي الدرداء مرفوعاً بإسناد ضعيف جداً أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق [ص ٤١].

وفي الباب عن أبي ذر مرفوعاً بإسناد ضعيف جداً أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق [٢٤١] وابن حبان [٣٦١] وأبو نعيم في الحلية [١٦٦ - ١٦٨] والبيهقي في السنن الكبرى [٤/٩] وابن عدي في الكامل [٢٦٩٦/٧].

ومن طريق إبراهيم بن عبد الله بن حنين، عن أبي هريرة،
عن النبي ﷺ (٥٥).

ومنها: كثرة الأكل، ولا سيما إن كان من الشبهات أو
الحرام.

قال بشر بن الحارث: خصلتان تقسيان القلب، كثرة الكلام

= وانظر شرح الحديث في الآتي:

١- شرح الأدب المفرد لفضل الله الصمد [٣٥٢/١].
٢- عارضة الأحوذى لابن العربي [٩/١٣٠، ١٣١] ط. دار الكتب
العلمية.

٣- وتحفة الأحوذى [١٧٧/٦] ط. دار الحديث.

٤- فيض القدير [١/١٢٦، ١٢٧].

٥- وحاشية السندی على ابن ماجه.

(٥٥) أخرجه ابن ماجه [٤١٩٣]: والبخارى في الأدب المفرد [٢٥٣].

قال البوصيرى في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(قلت): في إسناده عبد الحميد بن جعفر الأنصارى صدوق ربما

وهم قاله الحافظ في التقريب وانظر تهذيب التهذيب.

قال الدارقطنى فى العلل [٧/٢٦٥]: «... والحديث غير ثابت»

والله أعلم.

وكثرة الأكل . ذكره أبو نعيم ^(٥٦) .

وذكر المروزي في كتاب الورع ^(٥٧) ، قال : قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد ابن حنبل - : يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع ؟ قال : ما أرى .

ومنها : كثرة الذنوب ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] ^(٥٨) .

(٥٦) إسناده صحيح :

أخرجه أبو نعيم في الحلية [٣٥٠ / ٨] والبيهقي في شعب الإيمان [٤٢ / ٥] [٥٧٠٥] والزهد الكبير [٤١٠] .

وفي الباب عن شيان الثوري :

رواه ابن المبارك في الزهد [٩١ / ١] وأبو نعيم في الحلية [٣٦ / ٧] ، [٧٨] .

(٥٧) [ص ١٢٠] باب التقليل وترك الشهوات ط . دار ابن رجب .

(٥٨) قال ابن كثير في تفسيره [٤ / ٤٥٨] :

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [١٤] أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ وإنما حجب قلوبهم =

وفى «المسند» والترمذى، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :
 «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ
 وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ، ذَاكَ الرَّيُّ
 الَّذِى ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين : ١٤]» وقال الترمذى :
 صحيح (٥٩).

= عن الإيمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة
 الذنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ﴾ [١٤] والرين يعترى قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين
 للمقربين .

(٥٩) إسناده حسن :

أخرجه أحمد [٢٩٧/٢] والطبرى فى تفسيره [٩٨/٣٠] والنسائى
 فى عمل اليوم والليلة [٤١٨] وفى التفسير من الكبرى [١١٦٥٨]
 والترمذى [٣٣٣٤] وابن ماجه [٤٢٤٤] والحاكم [٥١٧/٢]
 والبيهقى فى السنن الكبرى [١٨٨/١٠] وفى الشعب [٧٢٠٣]
 وفى الآداب [١١٧٩] والبغوى فى شرح السنة [١٣٠٤] وابن
 الجوزى فى ذم الهوى [ص ٦٦] من طريق ابن عجلان عن القعقاع
 ابن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعاً به .

= قال الترمذى: حسن صحيح

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(قلت طارق): وابن عجلان حسن الحديث فالإسناد حسن والله أعلم.

قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى [١٦٨/١٢].

الران والرين جهل يقوم بالقلب يحول بين المرء وبين معرفة الحق. الأصول: فى مسالتين:

الأولى: قد بينا حقيقة القلب وشرحنا قيام المعارف به بالله وسواه، وإن الجوارح له تبع، ولما يقوم به خدم، وفى منبعه يصدر لها كل عمل. وجاء فى الشريعة أن الطاعات والمعاصى لها أثر فى تنويره وإظلامه، وهو خبر عن الشئ بفائدته، وحقيقة الحال أن الجهل يقوم بالقلب فيسرى إلى الجوارح وأثره فإذا قامت الجهالة بالقلب فهو نكته التى أثرها المعصية الظاهرة على الجوارح، فالمعصية دلالة على النكت التى كانت سبب المعصية فهكذا تنزيلها والله أعلم.

الثانية: إذا كان فى القلب نكته من نفاق فهو رين، فإذا كان فى عقله أو ذهول أو نسيان فهو غين، ونفخ هذا هو الذى يعرف الأنبياء، قال النبى ﷺ: «إنه ليغان على قلبى فأنوب إلى الله فى اليوم مائة مرة» كما تقدم وانظر تحفة الأحوذى [٣٣٢/٨ - ٣٣٣].

قال بعض السلف: البدن إذا عرى رِقٌّ، وكذلك القلب إذا قلت خطاياهُ أسرعَ دمعتهُ.

وفى هذا المعنى يقول ابن المبارك^(٦٠):

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ

وَيُورِثُكَ الذُّلَّ إِنْ مَاتَتْهَا

وَتَرَكْتَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ

وَحَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانَتَهَا

(٦٠) إسناده ضعيف:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» [٧٣٠٠] وابن عساكر في تاريخ دمشق [٣٨/٣٧١-٣٧٢] من طريق سلم الخواص عن ابن المبارك به.

(قلت): في إسناده سلم الخواص هو سلم بن ميمون الخواص السمعاني من عباد أهل الشام وقرائهم ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث وإتقانه فلا يحتج به، وقال ابن أبي حاتم: لم أكتب عنه وقد أدركته، وقال العقيلي: حدث بمناكير لا يتابع عليه انظر الضعفاء الكبير [٢/١٦٥ - ١٦٦] والميزان [٢/٣٨٦، ٣٨٧] والكامل [٣/١١٧٤].

وأما مزيلات القسوة، فمتعددة أيضاً:

فمنها: كثرة ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلب واللسان.

قال المعلى بن زياد: إن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أدنه من الذكر^(٦١).

(٦١) إسناده حسن:

رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء [٤٨] وأحمد في الزهد [ص ٤٥٤] والبيهقي في شعب الإيمان [١/٤٥٦ رقم ٧٠٣] وابن الجوزي في ذم الهوى [ص ٦٨].

قال ابن القيم في الوابل الصيب [ص ٨٦] وهو يتكلم عن فوائد الذكر حيث قال: (الفائدة السادسة والأربعون) أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله ثم ذكر أثر الحسن ثم قال وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار فما أذيبت قسوة القلب بمثل ذكر الله عز وجل.

الفائدة: السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة، وشفائوها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب ولا أشد استجلاباً للحق من قراءة القرآن لمن تدبره (٦٢).

وقال يحيى بن معاذ، وإبراهيم الخواص: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكير، وخللاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين (٦٣).

والأصل في إزالة قسوة القلوب بالذكر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] (٦٤).

(٦٢) رواه أبو نعيم في الحلية [١٤٢/٨]

(٦٣) إسناده ضعيف:

رواه أبو نعيم في الحلية [٣٢٧/١٠] والبيهقي في الزهد الكبير [٤١٣] وابن الجوزي في ذم الهوى [ص ٦٨] والسلمي في الطبقات الصوفية [ص ٢٨٦].

وانظر تحقيقى لكتاب الذل والانكسار للحافظ ابن رجب ط. دار الرسالة.

(٦٤) قال السعدى في تفسيره [ص ٣٧٢]:

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

= ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أى: يزول قلقها واضطرابها وتحضرها أفرحها ولذاتها ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أى: حقيق بها، وحرى أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، هو ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه، الذى أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا، معنى طمأنينة القلب بذكر الله، أنها حين تعرف معانى القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب، إلا باليقين والعلم، وذلك فى كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التى لا ترجع إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة، وتضاد الأحكام. ولمزيد فائدة انظر الواابل الصيب لابن القيم.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وفي حديث عبد العزيز بن أبي رواد مرسلًا، عن النبي ﷺ:
«إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: فما جلاؤها يا
رسول الله؟ قال: تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره» (٦٥).

(٦٥) ضعيف جدًا:

ورد عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهما:
أولًا: حديث عبد الله بن عمر:

(قلت): ومداره على راويه عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن
عمر وهذا إسناد ضعيف، عبد العزيز فيه مقال مشهور خاصة في
روايته عن نافع. على أنه قد ثبت عنه مرفوعًا بإسقاط نافع وابن
عمر.

رواه عن عبد العزيز: إبراهيم بن عبد السلام المخزومي ومن طريقه
رواه ابن عدي في «الكامل» [٢٥٩/١] ومن طريقه ابن الجوزي في
«العلل» [٨٣٢/٢] [١٣٩٠].

قال ابن عدي ليس بمعروف حدث بالمناكير وعندي أنه يسرق
الحديث، قال ابن الجوزي هذا حديث مشهور بعبد العزيز معروف
برواية عبد الرحيم بن هارون الغساني عنه وقد سرقه إبراهيم فأما =

= عبد العزيز فقال ابن حبان كان يحدث على التوهم والنسيان فسقط الاحتجاج به، وأما عبد الرحيم فقال الدارقطني متروك الحديث وكان يكذب وأما إبراهيم فقال ابن عدى كان يحدث بالمناكير قال وعندى أنه يسرق الحديث.

وعبد الرحيم بن هارون الغساني ومن طريقه رواه ابن عدى فى الكامل [٢٥٩/١]، [٢٨٣/٥] والقضاعى فى مسند الشهاب [١١٧٩] وأبو نعيم فى الحلية [١٩٧/٨] والخطيب فى تاريخ بغداد [٨٥/١١] وابن الجوزى فى ذم الهوى [ص ٦٨].

(قلت): فى إسناده عبد الرحيم بن هارون.

قال الدارقطني: متروك الحديث يكذب.

وحفص بن غياث عن عبد العزيز قال: قال رسول الله ﷺ.

(قلت طارق): ذكره الذهبى هكذا فى «الميزان» [٦٠٨/٢] وحفص ثقة وروايته هى المعتمدة على أنها معلولة بعبد العزيز ذاته ثم هى منقطعة انقطاعاً بيئاً.

ومحمد بن صالح الأشج ومن طريقه رواه القضاعى فى مسند الشهاب [١١٧٨] والخرائطى فى اعتلال القلوب [٣٣] والبيهقى فى الشعب [٢٠١٤] ومحمد بن نصر فى قيام الليل [١٢١] عن عبد الله ابن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.

ومنها: الإحسان إلى اليتامى والمساكين؛ روى ابن أبي الدنيا: ثنا علي بن الجعد، حدثني حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن أبي هريرة: «أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «إِنْ أَرَدْتَ تَلِيْنَنَ قَلْبِكَ؛ فَاْمْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيْمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِيْنَ» إسناده جيد^(٦٦).

= (قلت): مداره علي عبد الله بن عبد العزيز وأبيه وعلمت ما فيهما كما تقدم وأيضاً ضعفه العراقي كما في الإتحاف [٤٦٥/٤].
ثانياً: حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: مداره علي راويه الوليد بن سلمة ثنا نضر بن محرز عن محمد بن المنكدر عن أنس.
أخرجه الطبراني في الصغير [١٨٤/١].
(قلت): وهذا إسناده ضعيف جداً: الوليد قال فيه الدارقطني متروك ذاهب الحديث، والنضر قال فيه ابن حبان منكر الحديث جداً.
ورواه عن الوليد: إبراهيم بن الوليد بن سلمة عنه طاهر بن علي عنه الطبراني في «الصغير» [١٨٤/١] وأحمد بن موسى بن زنجويه عنه ابن عدي في الكامل [٢٩/٧].
(قلت طارق): فخلاصة القول أن الحديث لا يصح بل ضعيف جداً من طريقه ولا يقوى أحدهما الآخر والله أعلم وانظر تحقيقى لكتاب نزهة الأسماع لابن رجب ط. دار الرسالة.

وكذا رواه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، ورواه جعفر بن
مُساfer: ثنا مؤمّل، عن حماد، عن أبي عمران، عن عبد الله بن
الصامت، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ وهذا كأنه غير محفوظ عن
حماد.

ورواه الجوزجاني: ثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، ثنا

= أخرجه أحمد [٢٦٣/٢] وعبد بن حميد [١٤٢٦] والبيهقي في
شعب الإيمان [١١٠٣٤] وفي السنن الكبرى [٦٠/٤] وابن أبي الدنيا
كما قال ابن رجب والطبراني في مختصر مكارم الأخلاق [١٠٧] وأبو
عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الأصبهاني في مجلس في
رؤية الله عز وجل [٣٠١/١] وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن
أبي عمران الجوني عن رجل عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً به.

(قلت): إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة أبو عمران
الجوني، وهو عبد الملك ابن حبيب البصري.

وأخرجه أحمد [٣٨٧/٢]: حدثنا بهز: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي
إمران عن أبي هريرة ؓ: «إن رجلاً شكاً...» الحديث دون قوله:
«إن أردت تلين قلبك».

(قلت): هكذا يأسقاط الرجل المبهم من الإسناد والصواب والصحيح
إثباته كما تقدم والله أعلم.

جعفر، ثنا أبو عمران الجوني مرسلاً، وهو أشبه^(٦٧)، وجعفر
أحفظ لحديث أبي عمران من حماد بن سلمة.

وروى أبو نعيم، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن
صاحب له: أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: «ارحم اليتيم
وأدنه منك، وأطعمه من طعامك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ،
أتاه رجل يشتكى قساوة قلبه، فقال: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟
فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَذْنُ الْيَتِيمِ مِنْكَ وَأَمْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمَهُ مِنْ
طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلِينُ قَلْبَكَ وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ»^(٦٨).

(٦٧) مرسل:

ورواه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق [ص ٧٤] طريق سيار بن
حاتم: حدثنا جعفر بن سليمان الضبي عن أبي عمران الجوني
قال: «قال رجل: يا رسول الله! أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أدن
منك اليتيم... الحديث دون قوله: «والطفه» وإسناده مرسل
حسن رجاله ثقات غير سيار بن حاتم.

قال الحافظ: «صدوق له أوهام»

وقال ابن رجب: «وجعفر أحفظ لحديث أبي عمران من حماد بن
سلمة» والله أعلم.

(٦٨) إسناده ضعيف:

قال أبو نعيم: ورواه ابن جابر والمطعم بن المقدام، عن محمد بن واسع أن «أبا الدرداء كتب إلى سلمان...»
مثله (٦٩).

= أخرجه عبد الرزاق في المصنف [٩٦/١١ - ٩٨] [٢٩٠٢٩] وأبو نعيم في الحلية [٢١٤/١] من طريق معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء.

(قلت): إسناده ضعيف لجهالة صاحب معمر: وانظر شرح الحديث في فيض القدير للمناوي.

(٦٩) إسناده ضعيف لانقطاعه:

وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق [ص ٧٥] من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والبيهقي في الشعب [١١٠٣٥] والسنن الكبرى [٦٠/٤، ٦١] من طريق حماد بن سلمة كلاهما عن محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: يا أخى أدن اليتيم، وامسح برأسه وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول - وأتاه رجل يشكو إليه قسوة القلب - فقال: «أدن اليتيم، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتقدر على حاجتك».

(قلت): إسناده ضعيف لانقطاعه، محمد بن واسع لم يسمع من أحد من الصحابة كما قاله علي بن المديني.

ونقل أبو طالب أن رجلاً سأل أبا عبد الله - يعني : أحمد بن حنبل - فقال له : كيف يرق قلبى ؟ قال : ادخل المقبرة ، وامسح رأس اليتيم ^(٧٠) .

ومنها : كثرة ذكر الموت ؛ ذكر ابن أبى الدنيا بإسناده ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن صفية « أن امرأة أتت عائشة لتشكو إليها القسوة .

فقالت : أكثرى ذكر الموت ، يرق قلبك وتقدرين على حاجتك .

قالت : ففعلت ، فأنست من قلبها رشداً ، فجاءت تشكر لعائشة ^(٧١) .

= قال الهيثمى فى المجمع [١٦٠ / ٨] أخرجه الطبرانى فى الكبير وفى إسناده من لم يسم وبقيّة مدلس .

وكذا ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٣٤٩ / ٣] والله أعلم .

(٧٠) لم أقف عليه .

(٧١) لم أقف عليه .

وكان غير واحد من السلف، منهم سعيد بن جبير، وربيعة بن أبي راشد يقولون: لو فارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا^(٧٢).

وفي السنن عن النبي ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» الموت^(٧٣).

(٧٢) إسناده ضعيف:

أخرجه أبو نعيم في الحلية [٢٧٩/٤] من طريق شعيب بن حرب ثنا سفيان عن رجل عن سعيد قال: لو فارق ذكر الموت قلبي، خشيت أن يفسد على قلبي.

(قلت): في إسناده راو لم يسم. والله أعلم.

(٧٣) أعل بالإرسال:

أخرجه أحمد [٢٩٢/٢، ٢٩٣] وفي الزهد [ص ١٧] ونعيم بن حماد في زياداته على «الزهد» لابن المبارك [١٤٦] وابن ماجه [٤٥٢٨]، والترمذي [٢٣٠٧] وابن حبان [٢٩٩٢، ٢٩٩٣، ٢٩٩٤، ٢٩٩٥] وفي روضة العقلاء [٢٩٧] والقضاعي في مسند الشهاب [٦٦٨]، [٦٦٩، ٦٧٠] والخطيب في تاريخ بغداد [٤٧٠/٩، ٣٨٤/١] والنسائي [٤/٤] والحاكم [٣٢١/٤] وابن عدي في الكامل [٥/٥] [٢٢٢] والبيهقي في الشعب [١٠٥٥٩، ١٠٥٦] وفي الزهد [٦٨٥] =

= وابن الجوزي في العلل المتناهية [٢/ ٨٨٤] [١٤٧٩] وابن أبي شيبه في المصنف [١٣/ ٢٢٦] والمزي في تهذيب الكمال [٢٤/ ٣٢٠] وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به .

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» .

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» وسكت عليه الذهبي! .

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يثبت ومداره على محمد بن عمرو اللبثي .

قال يحيى بن معين: مازال الناس يتقون حديثه .

(قلت طارق): والحديث أعله الدارقطني بالإرسال فقال: يرويه محمد بن عمرو، واختلف عنه قرواه الفضل بن موسى، وعبد العزيز بن سلم، ومحمد بن إبراهيم بن عثمان، والد أبي بكر وعثمان ابن أبي شيبه، والعلاء بن محمد بن سيار، وسليم بن أخضر، وحماد بن سلمة من رواية محمد بن الحسن الكوفي الأسدي التل، ويعلى بن عباد عنه، وعبد الرحمن ابن قيس الزعفراني، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ورواه أبو أسامة وغيره، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلاً والصحيح المرسل . اهـ «العلل» [٨/ ٣٩ ، ٤٠] رقم [١٣٩٧] .

قال أبو داود: في «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» [ص ٣٠٣]: =

= سمعت أحمد ينكر حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللِّذَاتِ المَوْتِ».

قال: هذا من قِبَلِ محمد بن عمرو يعنى توصيله. اهـ.
(قلت طارق): ومحمد بن عمرو له أوهام، وهو ضعيف في روايته عن أبي سلمة، قال ابن معين كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة انظر تهذيب التهذيب.

قال الحافظ في التلخيص الحبير [١٠١/٢] [٧٣٠]!.
رواه أحمد والترمذي.. وصححه ابن حبان.. وأعله الدارقطني بالإرسال..

قال السخاوي في المقاصد الحسنة [ص ١٣٨] رقم [١٤٧]:
رواه أحمد والترمذي... وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالإرسال.

(قلت طارق): وكذا قال العجلوني في كشف الخفا [١١٨/١] [٥٠٠] وانظر تميز الطيب من الخيث [ص ٥٥] رقم [١٨٣].

وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند البزار [٣٦٢٣] والطبراني في الأوسط [٦٩٥] وأبي نعيم في الحلية [٢٥٢/٩] والخطيب في تاريخ بغداد [٧٢/١٢، ٧٣] والفضاء في المختارة [١٧٠١، ١٧٠٢] والبيهقي في الشعب [٨٢٦، ٨٢٧، ٤٨٣٣].

قال ابن أبي حاتم في العلل [١٣٠/٢] [١٨٨٣]: وسألت أبي =

= عن حديث: رواه ابن أبي بزة، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون، فقال: «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات»، يعنى: الموت.

قال أبى: هذا حديث باطل لا أصل له.

(قلت): انظر الميزان [١/١٤٤] [٥٦٤] ولسان الميزان [١/٣٨٢] والتلخيص الحبير [١/١٠١] وكشف الخفاء للعجلونى [١/١٨٨] [٥٠٠] قال العراقى فى تعليقه على الإحياء [٥/١٤٥] إسناده ضعيف جداً أخرجه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف جداً وانظر فيض القدير للمناوى والله أعلم.

وآخر من حديث ابن عمر عند القضاعى [٦٧١] والبيهقى فى الشعب [١٠٥٥٨] والطبرانى فى الأوسط [٥٧٧٦] وأبى نعيم فى تاريخ أصبهان [٢/٥٩٠].

(قلت): فى إسناده القاسم بن محمد الأزدي لا يعرف بجرح ولا تعديل انظر الجرح والتعديل [٧/١١٩] وعبد الله بن عمر العمرى ضعيف كما لا يخفى وانظر فيض القدير للمناوى.

وثالث من حديث عمر بن الخطاب عند أبى نعيم فى الحلية [٦/٣٥٥].

وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك تفرد به جعفر بن =

= عبد الملك .

(قلت طارق): قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير [١/ ١٠١]: وفيه من لا يعرف .

ورابع من حديث أبي سعيد عند الترمذى [٢٤٦٠] والبيهقى فى الشعب [٨٢٨] .

(قلت): وإسناده ضعيف جداً، انظر: المقاصد الحسنة للسخاوى [ص ١٣٩] .

وخامس من حديث زيد بن أسلم مرسلاً عند ابن المبارك [١٤٥] ومن طريقه البغوى فى شرح السنة [١٤٤٧] وانظر التلخيص الحبير [١/ ١٠١] (قلت): مرسل وأضف إلى ذلك ضعف زيد بن أسلم . وسادس عن سفيان عن شيخ مرسلاً أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت كما فى كتر العمال [٥٤٢/ ١٥] [٤٢٠٩٤] وفيض القدير للمناوى .

وسابع عن عمر أيضاً أخرجه أبو الحسن بن صخر فى عوالى مالك ، وأبو نعيم الحلية كما فى كتر العمال [٦٩٧/ ١٥] [٤٢٧٨٩] .

وثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه العسكرى فى الأمثال كما فى كتر العمال [٧٠٠/ ١٥] [٤٢٧٩٨] .

(قلت طارق): وانظر أيضاً المقاصد الحسنة [ص ١٣٨ ، ١٣٩] وكشف الخفا [١/ ١٨٨] وعلى كلِّ فالحديث لا يصح بهذه =

= الشواهد والله أعلم.

قال ابن العربي في عارضة الأحوذى [١٣٣/٩]:

حديث «أكثرُوا ذكر هكذا هاذم اللذات» إذا تذكر العبد الموت وكان منه على رصد، إذ هو له بالمرصاد، انقطع أمله وكثر عمله وهانت عليه لذاته، ولم يكن للدنيا قدر عنده، إذ ليس بالحقيقة من قطّانها وإنما هو ينزل نفسه بمتزلة الميت في كل حين من أحيانها، فيعرض عن الدنيا ويقبل على الآخرة...».

قال الغزالي في إحياء علوم الدين [١٢٦/٥، ١٢٧] ط. المكتبة التوفيقية

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجح ذكر الموت في قلبه، فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت في قلبه، فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه، وأنجح طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناجهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن صورهم. وكيف تبددت أجزاؤهم=

= فى قبورهم وكيف أرمّلوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجل رجلاً وفصل فى قلبه حاله، وكيفية موته وتوهم صورته، وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء، ونسيانه للموت وانخداعه بمؤاتات الأسباب وركونه إلى القوة والشباب، وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه، فأنكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار، فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم...

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبه اللسان قليل الجدوى فى التحذير له والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغي أن =

وروى مرسلاً عن عطاء الخراساني قال: «مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال: «ثوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات». قالوا: وما مُكدر اللذات يا رسول الله؟ قال: «الموت» (٧٤).

ومنها: زيارة القبور بالتفكير في حال أهلها ومصيرهم؛ وقد سبق قول أحمد للذي سأله ما يُرق قلبى؟ قال: ادخل المقبرة (٧٥).

وقد ثبت في «صحيح مسلم» (٧٦)، عن أبي هريرة، عن النبي

= يتذكر في الحال، أنه لا بد له من مفارقتة...». وانظر التذكرة للقرطبي، وشرح الحديث في تحفة الأحوذى وفيض القدير والله أعلم.

(٧٤) مرسل:

قال العراقي في تخريج الإحياء [٤٥/٥] أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مرسلًا ورويناه في أمالي الجلال من حديث أنس ولا يصح.

(٧٥) تقدم ولم أقف عليه.

(٧٦) برقم [٩٧٦] [١٠٦].

ﷺ قال: «فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

وعن بريدة، أن النبي ﷺ قال: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ» رواه أحمد، والترمذي وصححه (٧٧).

وعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُذَمِّعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا» رواه الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا (٧٨).

(٧٧) صحيح:

أخرجه مسلم [٩٧٧] وأحمد [٣٥٠/٥، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١] وأبو داود [٣٦٩٨] والترمذي [١٠٥٤، ١٥١٠، ١٨٦٩] والنسائي [٨٩/٤، ٢٣٤/٧، ٣١٠/٨، ٣١١، ٣١٩] وغيرهم.

(٧٨) إسناده ضعيف:

ولبعض فقراته شواهد: أخرجه أحمد [٢٣٧/٣، ٢٥٠] وابن أبي شيبة [٣٤٢/٣] وأبو يعلى [٣٧٠٥، ٣٧٠٦، ٣٧٠٧] والحاكم [١/٣٧٦، ٣٧٥] وابن أبي الدنيا كما قال ابن رجب من طرق عن يحيى بن الحارث الجابر عن عبد الوارث مولى أنس بن مالك وعمرو =

= ابن عامر عن أنس بن مالك مرفوعاً به .

(قلت): في إسناده يحيى بن عبدالله بن الحارث ضعيف وانظر المجمع [٦٥/٥ ، ٦٦] وعبد الوارث مولى أنس وروى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم شيخ وأخرجه البيهقي [٧٧/٤] من طريق أبي جعفر بن دحيم، عن محمد بن الحسين بن أبي الحنين، عن أبي حذيفة - يعني موسى بن مسعود النهدي - عن إبراهيم بن طهمان، عن عمرو بن عامر وعبد الوارث عن أنس .
(قلت): وأبو جعفر بن دحيم لم أقف له على ترجمة الآن والله أعلم .

وأخرجه الحاكم في المستدرک [٣٧٦/١] من طريق عبدان الأهوازي، عن بشر بن معاذ العقدي، عن عامر بن يساف، عن إبراهيم بن طهمان، عن يحيى بن عباد، عن أنس مختصراً بلفظ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا» .

(قلت): في إسناده عامر بن يساف روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: صالح وأخرجه البزار [١٢١١] - كشف الأستار [من طريق الحارث بن نبهان، عن حنظلة السدوسي، عن أنس، والحارث بن نبهان ضعيف .

وللحديث شواهد:

وذكر ابن أبي الدنيا^(٧٩)، عن محمد بن صالح التمار قال :

= * منها ما أخرجه أحمد [١٤٥ / ١] عن علي رضي الله عنه بإسناد ضعيف .

* ومنها ما أخرجه أحمد [٣٨ / ٣] بإسناد فيه ضعف من أجل أسامة ابن زيد الليثي .

* ومنها ما أخرجه أحمد [٤٥٢ / ١] بإسناد ضعيف .

* ومنها ما أخرجه البزار [٢٩٠٨ - كشف الاستار] والطبراني في الأوسط [٢٧٣٠] وغيرهما قال الهيثمي في المجمع [٦٦ / ٥] رواه البزار وفيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف يكتب حديثه وبقيّة رجاله ثقات .

* ومنها ما أخرجه الطبراني في الأوسط [٦٨١٩] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

* وما تقدم من حديث أبي هريرة وبريدة رضي الله عنهما والله أعلم .

(٧٩) لم أقف عليه : ومحمد بن صالح بن دينار التمار أبو عبد الله المدني مولى الأنصار قال أحمد : ثقة ثقة وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : شيخ لا يعجبني حديثه ، ليس بالقوى ، وقال الآجري عن أبي داود : ثقة وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن أبي الزناد كان ثقة قليل الحديث وقال العجلي ثقة ، وقال البرقاني =

كان صفوان بن سليم يأتي البقيع في الأيام فيمر بي ، فاتبعته ذات يوم . وقلت : والله لأنظرون ما يصنع . قال : فقنع رأسه وجلس إلى قبر منها ، فلم يزل يبكي حتى رحمته . قال : ظننت أنه قبر بعض أهله . قال : فمر بي مرة أخرى ، فاتبعته [فقعد] .

إلى جنب قبر غيره . ففعل مثل ذلك فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر ، وقلت : إنما ظننت أنه قبر بعض أهله . فقال محمد : كلهم أهله وإخوانه ، إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات ، كلما عرضت له قسوة قال : ثم جعل محمد بن المنكدر بعد يمر بي فيأتي البقيع ، فسلمت عليه ذات يوم ، فقال : ما نفعك موعظة صفوان . قال : فظننت أنه انتفع بما ألقى إليه منها .

وذكر أيضًا^(٨٠) أن عجوزًا متعبدة من عبد القيس كانت تكثر إتيان القبور . فعوتبت في ذلك . فقالت : إن القلب القاسي إذا

= سألت الدارقطني عن محمد بن صالح يروي عنه زيد بن الحباب ، فقال هو التمار ، متروك [تهذيب التهذيب] وقال الحافظ في التقریب صدوق يخطئ من السابعة والله أعلم .

(٨٠) لم أقف عليه .

جفا لم يلينه إلا رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور وكأنى أنظر
إليهم وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه
المتعفرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيرة ، وإلى تلك الأكفان
الدنسة . فياله منظر لم أسرّ به قلوبهم ، ما أنكل مرارة الأنفس
وأشد تلفة الأبدان .

وقال زياد النميرى^(٨١) : ما اشتقت إلى البكاء إلا مررت
عليه . قال له رجل : وكيف ذلك ؟ قال : إذا أردت ذلك خرجت
إلى المقابر فجلست إلى بعض تلك القبور ، ثم فكرت فيما
صاروا إليه من البلى ، وذكرت ما نحن فيه من المهلة . قال :
فعند ذلك تختفى أطوارى !

وقلت والله الموفق :

أَفَى دَارِ الْخَرَابِ تَظَلُّ تَبْنِي

وَتَعْمَرُ مَا لِعُمَرَانِ خُلِقْنَا

(٨١) لم أقف عليه : وزياد النميرى هو زياد بن عبدالله النميرى ضعيف
من الخامسة قاله المحافظ فى التقريب ، وانظر تهذيب التهذيب والله
أعلم .

وَمَا تَرَكْتُ لَكَ الْإِيَّامَ عُذْرًا
لَقَدْ وَعَظْتُكَ لَكِنْ مَا اتَّعَظْنَا
تُنَادِي لِلرَّحِيلِ بِكُلِّ حَبْنٍ
وَتُسْمِعُكَ النَّدَاءَ وَأَنْتَ لَاهِ
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ سَفَرٌ بَعِيدٌ
تَنَامُ وَطَالِبُ الْإِيَّامِ سَاعٍ
مَعَائِبُ هَذِهِ الدُّنْيَا كَثِيرٌ
يَضِيعُ الْعُمُرُ فِي لَعِبٍ وَلَهْوٍ
فَمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ سِوَى جَحِيمٍ
وَلَسْتُ بِأَمِلُ بِأَطْلَ رَدًّا لِدُنْيَا
وَأَوَّلُ مَنْ أَلُومَ الْيَوْمَ نَفْسِي
أَيَا نَفْسِي أَخْوَضَا فِي الْمَعَاصِي
وَأَرْجُو أَنْ يَطُولَ الْعُمُرُ حَتَّى
أَيَا غُصْنِ الشَّبَابِ تَمِيلُ زَهْوًا

عَلِمْتَ قَدَحُ سَبِيلِ الْجَهْلِ وَاحْذَرُ
 وَيَا مَنْ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ قُلْ لِي
 وَيَا مَنْ يَبْتَغِي أَمْرًا مُطَاعًا
 عَجَبْتُ إِلَى الْوِلَايَةِ لَا تُبَالِي
 أَلَا تَذَرِي بِأَنَّكَ يَوْمَ صَارَتْ
 وَلَيْسَ يَقُومُ فَرَحُهُ قَدْ تَوَلَّى
 وَلَا تَمَهَّلْ فَإِنَّ الْوَقْتَ سَيْفٌ
 تَرَى الْأَيَّامَ تُبْلِي كُلَّ غُصْنٍ
 وَتَعْلَمُ إِنَّمَا الدُّنْيَا مَنَامٌ
 فَكَيْفَ تَصُدُّ عَنْ تَحْصِيلِ بَاقٍ
 هِيَ الدُّنْيَا إِذَا سَرَّتْكَ يَوْمًا
 تَغُرُّكَ كَالسَّرَابِ فَأَنْتَ تَسْرِى
 وَاشْهَدُكُمْ أَبَادَتْ مِنْ حَبِيبٍ
 وَتَذْفِنُهُمْ وَتَرْجِعُ ذَا سُرُورٍ

وَتَنَسَاهُمْ وَأَنْتَ غَدًا سَتَفْنِي
تَحَدِّثُ عَنْهُمْ وَتَقُولُ كَانُوا
حَدِيثُكَ هُمْ وَأَنْتَ غَدًا حَدِيثُ
يَعُودُ الْمَرْءُ بَعْدَ الْمَوْتِ ذِكْرًا
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ عَمٍّ وَخَالٍ
أَلَسْتَ تَرَى دِيَارَهُمْ خَلَاءَ
وَتَعْمُرُ مَا لِعُمُرَانِ خُلِقْنَا
لَقَدْ وَعَظْتُكَ لَكِنْ مَا اتَّعَظْنَا
وَتُعَلِّنُ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنْتَا
عَنِ الدَّاعِي كَأَنَّكَ مَا سَمِعْنَا
وَعَنْ إِعْدَادِ زَادٍ قَدْ غَفَلْنَا
وَرَاءَكَ لَا يَنَامُ فَكَيْفَ نِمْنَا
وَأَنْتَ عَلَى مَحَبَّتِهَا طِبَعْنَا
وَلَوْ أُعْطِيتَ عَقْلًا مَا لَعِبْنَا

لِعَاصِيٍّ أَوْ نَعِيمٍ إِنَّ أَطْعَمَنَا
فَتَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْنَا
فَقَدْ فَعَلْتَ نَظَائِرَ مَا فَعَلْنَا
وَبَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَفِيَتْ سِتْنَا
أَرَى زَادَ الرَّجِيلِ وَقَدْ تَأْتِي
كَأَنَّكَ قَدْ مَضَى زَمَنٌ وَشِبْنَا
وَصَبِيحَةٌ قَدْ عَلِمْتَ وَمَا عَمِلْنَا
أَيُّمُنُكَ الرَّدَى مَا قَدْ جَمَعْنَا
لِيَسْمَعَ نَافِذًا مِنْ قَدْ أَمَرْنَا
أَجُرْتَ عَلَى الْبَرِيَّةِ أَمْ عَدَلْنَا
إِلَيْكَ بِفَقِيرٍ سَكِينٍ دُبِحْنَا
بِتَرْحَةٍ يَوْمَ تَسْمَعُ قَدْ عُزَلْنَا
فَإِنْ لَمْ تَغْتَنِمْهُ فَقَدْ أَضَعْنَا
وَتَطْوَى مِنْ سُرُورِكَ مَا نَشَرْنَا

فَأَخْلَى مَا تَكُونُ بِهِ انْتَبَهَتَا

وَبِالْفَنَائِي وَزُخْرُفِهِ شُغِلْتَا

تَسُوءُكَ ضَعُفُ مَا فِيهَا سُرِّرْتَا

إِلَيْهِ وَلَيْسَ تَشْعُرُ قَدْ غُرِرْتَا

كَأَنَّكَ آمِنٌ مِمَّا شَهِدْتَا

بِمَا قَدْ نِلْتَ مِنْ إِرْثٍ وَحَرَرْتَا

كَأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ وَلَا وُجِدْتَا

نَعَمْ كَانُوا كَمَا وَاللَّهِ كُنْتَا

لِغَيْرِهِمْ فَأَحْسِنُ مَا اسْتَطَعْتَا

فَكُنْ حَسَنَ الْحَدِيثِ إِذَا ذَكَرْتَا

وَمَالَكَ وَالسُّؤَالَ وَقَدْ عَلِمْتَا

فَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا مَا عَرَفْتَا

ومنها: النظر في ديار الهالكين، والاعتبار بمنازل الغابرين.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «التفكير والاعتبار»، بإسناده

عن عمر بن سليم الباهلي، عن أبي الوليد، أنه قال: كان ابن

عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها،
فينادى بصوت حزين، فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه،
فيقول: كل شيء هالك إلا وجهه^(٨٢).

(٨٢) إسناده حسن:

أخرجه ابن المبارك في الزهد [ص ١٤٤] رقم [٦٣٩] وأحمد في
الزهد [ص ١٩١] وأبو نعيم في الحلية [٣١٢/١] وأبو داود في
الزهد [٣٢٣] والبيهقي في شعب الإيمان [١٠٦٧٩] وابن أبي الدنيا
في قصر الأمل [٣٢٣] من طريق مالك عن أبي حصين عن مجاهد
قال: كنت أمشي مع ابن عمر فمر على خربة ما فعل أهلك؟ قال
ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالهم.

ولم أقف عليه عند ابن أبي الدنيا.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف [٣٣٠/١٣] من طريق علي بن
أبجر عن ثوير عن ابن عمر بنحوه.

وفي الباب عن أبي الدرداء بإسناد حسن: أخرجه ابن أبي شيبة
[٣٠٦/١٣] وابن المبارك في الزهد [٦٣٨] ووكيع في الزهد
[٥٠٩] وأبو نعيم في الحلية [٢١٨/١] وابن عساكر في تاريخ
دمشق [٣٨٤/١٣] وابن أبي الدنيا في قصر الأمل [٣٢٧، ٣٢٥].

وفي الباب أيضًا عن أبي مسلم الخولاني: أخرجه أحمد في الزهد
[ص ٢٣٩] وأبو نعيم في الحلية [١٢٦/٢] وأما الأثر عند ابن أبي=

وروى فى كتاب «القبور» بإسناده، عن محمد بن قدامة قال :
كان الرَّبِيعُ ابن خُثيم إذا وجد من قلبه قسوة يأتى منزل صديق له
قد مات فى الليل فينادى : يا فلان ابن فلان ، يا فلان ابن فلان .
ثم يقول : ليت شعرى ، ما فعل بك؟ ثم يبكى حتى تسيل
دموعه ، فيعرف ذاك فيه إلى مثلها^(٨٣) .

ومنها : أكل الحلال ؛ روى أبو نعيم^(٨٤) وغيره ، من طريق
عمر بن صالح الطرسوسى ، قال : ذهبت أنا ويحيى الجلاء -
وكان يقال : إنه من الأبدال - إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل
فسأله ، وكان إلى جنبه بوران وزُهير الجمال ، فقلت : رحمك

= الدنيا فى كتاب «التفكر والاعتبار» لم أقف عليه وفى إسناده عمر
ابن سليم الباهلى قال فيه أبو زرعة : صدوق . وقال أبو حاتم : شيخ
له عند [ق] فى كتم العلم .

(قلت) : أى ابن حجر : وقال العقيلي : هو غير مشهور يحدث
بمناكير ، وذكره ابن حبان فى الثقات [تهذيب التهذيب] .
قال ابن حجر فى التقريب صدوق له أوهام من السابعة والله أعلم .

(٨٣) لم أقف عليه .

(٨٤) رواه أبو نعيم فى الحلية [١٨٢/٩] .

الله يا أبا عبد الله ، بم تلين القلوب؟ فنظر إلى أصحابه فغمزهم بعينه ، ثم أطرق ثم رفع رأسه ، فقال : يا بني بأكل الحلال . فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث ، فقلت له : يا أبا نصر ، بم تلين القلوب؟ فقال : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . قلت : فإنني جئت من عند أبي عبد الله قال : هيه .

أى شيء قال لك أبو عبد الله؟ قلت : قال : بأكل الحلال فقال : جاء بالأصل ، جاء بالأصل . فمررت إلى عبد الوهاب الوراق ، فقلت : يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ فقال : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . قلت : فإنني جئت من عند أبي عبد الله . فاحمرت وجنتاه من الفرح . فقال لى : أى شيء قال أبو عبد الله؟ قلت : بأكل الحلال . فقال : جاءك بالجوهر ، جاءك بالجوهر ، الأصل كمال الأصل .

قال بعضهم عنه : لقد حكيت ولكن فاتك الأنسب .

والحمد لله وحده



فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| مقدمة المحقق | ٥ |
| عملى فى دراسة وتحقق الكتاب | ١٢ |
| بحث مختصر فى ذم قسوة القلب | ١٤ |
| الآيات الواردة فى قسوة القلب | ١٧ |
| الأحاديث الواردة فى ذم قسوة القلب | ٢٠ |
| من مضار القسوة والغلظة والفظاظة | ٢١ |
| طهارة القلب | ٢٣ |
| أسباب فساد وقسوة القلوب | ٢٦ |
| مطهرات القلوب ومثبتاتها | ٣٢ |
| الإيمان بالله | ٣٢ |
| العلم الشرعى | ٣٣ |
| سؤال الثبات من الله | ٣٧ |
| كثرة الاستغفار | ٣٨ |
| الاستعاذة من قلب لا يخشع | ٣٩ |

| | |
|-----|--|
| ٤٠ | حضور مجالس الذكر والمواعظ ورؤية الصالحين ومجالستهم |
| ٤٣ | دفع الشبهات عن المؤمنين حتى تطهر قلوبهم |
| ٤٤ | البعد عن مواطن الفتن |
| ٤٤ | قلة الضحك |
| ٤٤ | زيارة القبور بالتفكر في حال أهلها ومصيرهم |
| ٤٤ | النظر في ديار الهالكين والاعتبار بمنازل الغابرين |
| ٤٥ | أكل الحلال والإحسان إلى اليتامى والمساكين |
| ٤٧ | نص الكتاب المحقق |
| ٤٧ | ذكر أسباب قسوة القلب وما تؤول به |
| ٦٩ | مزيلات القسوة |
| ١٠٠ | فهرس الموضوعات |

